علوم الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم تفريغ المحاضرة الثانية في مادة مصطلح الحديث:

- من المسائل التي ينبغي الوقوف عليها وتعلمها جيدا هو رواية حديث النبي صلى الله عليه وسلم باللفظ و بالمعنى

وتكمن هذه المسألة ومعرفتها في ما أثاره المستشرقون في سنة النبي صلى الله عليه وسلم حول هذه المسألة ،ودعونا أولا نقف على شيء من هذه المسألة حتى اذا ما دخلنا في الشبه عليها نكون قد عرفنا الردود جيدا.

- لا خلاف بين أهل العلم على أن الأصل في رواية الحديث يكون باللفظ و المعنى دخيل على الأصل .

-وأجمع أهل العلم أن ما كان فيه عبادة من حديث النبي صلى الله عليه وسلم لابد أن يروى باللفظ دون المعنى كأحاديث الأذكار والدعاء.
والسبب في ذلك أن الدعاء عبادة، كما قال تعالى:{ وقال ربكم ٱدعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين}.
سماه الله عبادة. فكما أن الصلاة الوقف فيها على تعليم النبي صلى الله عليه وسلم لأمته قال(صلوا كما رأيتموني أصلي) كذلك فإن أحاديث الدعاء والأذكار متوقفة على لفظ النبي صلى الله عليه وسلم.

-واختلف أهل العلم في رواية الحديث هل يكون باللفظ أو بالمعنى على قولين:

***الأول: ماذهب إليه عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر وزيد بن أرقم وبه قال مالك والقاسم بن محمد ومحمد بن سيرين وغيرهم على أنه لايروى الحديث الا باللفظ.**

* **الثاني**: ماذهبت إليه عائشة وعبد الله بن مسعود وبه قال الحسن البصري وعامر الشعبي وابراهيم النخعي وغيرهم أنه يجوز روايته بالمعنى بشروط:

١ ألا يضع الراوي لفظا يغير من معنى الحديث.

٢ أن يكون عالما بدروب الألفاظ (سليقة العرب).

• ولكل منهما دليل من كلام النبي صلى الله عليه وسلم يستند عليه حتى أن عمر رضي الله عنه قال:(أدى الحديث كما سمعه فقد سلم).

- ولاخلاف بينهما على أن الأصل في رواية الحديث لابد أن تكون باللفظ لا بالمعنى الا اذا احتاج المحدث الى ذلك كمن لا يستطيع جمع الحديث أو تناسى منه لفظ بشرط ألا يضيع معنى الحديث لأنه لو ضيع المعنى يحرم عليه روايته فان مالك رحمه الله لما شك في رواية الحديث تركه كله.

- لابد لطالب علم المصطلح أن يقف على هذا الأمر موقفا جيدا فان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يتشددوا على اللفظ وان كانت رواية اللفظ هي الأصل، فان لم يتيسر اللفظ روي بالمعنى ولم ينكر الصحابة على بعضهم البعض في هذه المسألة كما روي على أب نصرة رحمه الله قال:(قلت لأبي سعيد الخدري :(إنك لتحدثنا حديثا عجيبا وإنا لنزيد فيه اللفظة أو اللفظتين) فقال أبو سعيد:<< أوتريدون أن تجعلوه قرآنا إنما نحدثكم على وجه ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم>>.

- السبب في ذلك أن الصحابة كانوا يعلمون ان سنة النبي صلى الله عليه وسلم ليس متعبد بلفظها كالقرآن وإنما المقصد أن يتعبد بأمر النبي صلى الله عليه وسلم أو بفعله فإن الله أنزل السنة وحيا بالمعنى لا باللفظ.

- معظم الشبه التي أثارها المستشرقون في هذه المسألة ترجع كلها على هذا المفهوم: وهي أن سنة النبي صلى الله عليه وسلم فهمها الصحابة بالمعنى دون اللفظ، وأجمل من قال في هذه المسألة هو داويس الكاتب النمساوي الذي أسلم وسمى نفسه محمد أسد قال:(نحن نعلم أن هناك أكثر من مئة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد حفظوا القرآن في

حياة النبي صلى الله عليه وسلم والاختلافات بينهم ضعيفة- يقصد القراءات السبع المعروفة- ولم يكن يغيب عن بال أحدهم أنهم يستطيعون أن يحفظوا سنة النبي صلى الله عليه وسلم على الوجه الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم).

لأن العرب في زمن النبوة كانوا مشهورين بالحفظ هذا يدل على أن الصحابة كان بمقدور أحدهم أن يحفظ السنة على الوجه الذي سمعه عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن هذا ليس مقصد النبي صلى الله عليه وسلم وليس هذا مافهمه الصحابة وانما كان مفهومهم للسنة على أنها وحي متعبد به بالمعنى لا باللفظ.

-كذلك من الشبه التي ألقوها أنهم لما رووا السنة بالمعنى لم يستدل به النحويون في النحو او في علوم اللغة :

وهذا كلام باطل ينقضه أي أحد نظر في كتب النحويين بل مالك صاحب الألفية استشهد على القواعد اللغوية أولا بالقران ثم سنة النبي صلى الله عليه وسلم فقدمها على أشعار العرب ونثرها لأن السنة فاقت كل كلام العرب فصاخو وشعرا ونثرا وأدبا، وكذلك صنع ابن هشام صاحب "أوضح المسالك في شرح ألفية ابن مالك" ، كذلك ابن جني وسيبويه في كتابه" الكتاب".

- والأصل رواية الحديث بالنص والمعنى زيادة على الأصل الا أنه بعد تدوين السنة لايجوز لاحد أن يروي الحديث بالمعنى وانما يرويه كما ذكره أهل العلم في كتبهم لأنهم وان رووه بالمعنى فهم أعلم الناس فصاحة بلغة العرب وأعلمهم بكلام النبوة وقواعد الحديث فاذا ما قعدوا الحديث على هذا الوجه فلا يجوز لأحد روايته بالمعنى وهذا الكلام ذكره ابن الصلاح في مقدمته وبه قال الحافظ ابن حجر وغيرهم.

-مسألة تدوين حديث النبي صلى الله عليه وسلم:

تدوين السنة قديم كتبه الصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ،والتدوين قسمه العلماء الى قسمين تدوين عام وتدوين خاص.

التدوين العام: ماصدر عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما توفوا وعلى راس المئة الاولى من الهجرة أمر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز محمد الزهري وهو أوثق الناس في أنس بن مالك رضي الله عنه أمره بكتابة الحديث فكتب رحمه الله كتابا ثم تبعه بعد ذلك أهل العلم، أي قبل قرن من ميلاد البخاري.

ثم تبعه مالك ابن أنس فكتب الموطأ وكذلك سفيان الثوري كتب الجامع الصحيح ، وعبد الله بن المبارك وابن جريج والأوزاعي وغيرهم.

- ثم في القرن الثالث الهجري العصر الذهبي لتدوين السنة والسبب كتاب الصحيحين صحيح البخاري وصحيح مسلم، وذلك أن أهل العلم قبل الامامين كانوا يكتبون الحديث ليس لصحته وانما يكتبون المسانيد: يسندون الأحاديث كمسند ابي بكر ابن شيبة ومسند الامام أحمد، أو يكتبون في كتبهم المراسيل وغيرها كموطأ الامام مالك. فلما أتى البخاري ومسلم اشترطا في كتابهما الصحة فلم يكتبا الا الصحيحين ثم تبعهما الأئمة الأربعة.

-مسألة الفرق بين الحديث النبوي والسنة:

- **السنة** مشتقة من السن وهو الطريقة أي طريقة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقسم أهل العلم السنة انها تختص بالعمل أما الحديث فيكون قولا، وهذا التقسيم مجازي لا فرق بينهما فكلاهما مترادفان وكلاهما لهما نفس التعريف اصطلاحا فكل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو عمل أو صفة خلقية أو صفة خلقية فلا فرق بينهما.

- **ندخل في علم مصطلح الحديث**: وهو العلم الذي يعرف به حال السند والمتن من حيث القبول أو الرد فعلم الحديث ينقسم الى سند ومتن.

١. **السند**: عرفه ابن حجر:هو سلسلة الرجال التي توصل الى المتن. وهذا التعريف قاصر بعض الشيء لأن الحافظ جعل السند في سلسلة الرجال ونحن نعلم أن النساء أيضا روين الحديث كأمهات

المؤمنين،فاطمة بنت المنذر، أسماء بنت الخطاب.حفصة بنت سيرين وغيرهن.

* عرفه غيره: هو الطريق الذي يوصل الى المتن.

- وسمي السند سندا لأن كل راو في سلسلة السند يسند القول الى من قبله ويجعل الأمر عليه.

- قال ابن المبارك : (الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء) فهذه قيمة الاسناد وذلك أنه خصيصة هذه الأمة اختص بها المسلمون دون غيرهم.

- قال رحمت الله الهندي:(قد طلبنا من علمائهم الفحول في محفل المناظرة أن يأتونا بالاسناد فما استطاعوا يقولون بالظن والتخمين والتمسك بالقرآن بما لا يفي في هذا الباب شيئا).

- يقول سفيان الثوري:(الاسناد سلاح المؤمن فان لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل). لذلك اهتم أهل العلم بالاسناد اهتماما بليغا وفي ذلك يقول شعبة ابن الحجاج <<انما يقف صحة الحديث على الاسناد>> لو صح الاسناد يوفر عليك جهدا ولو صح المتن وضعف الاسناد يحكم بضعف الحديث. لان علم الحديث لا يتوقف على العقل وانما على يتوقف كله على النقل. فلا يقبل أهل الحديث حديثا الا بسند مهما كان معنى الحديث كما قال الامام مسلم :(سألت عبد الله بن المبارك فقلت يا أبا عبد الرحمن ما تقول في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: ان من البر أن يصلي الرجل مع أبويه مع صلاته وأن يصوم لهما مع صيامه، فقال: يا أبا اسحاق عمن هذا ؟ قال عن الحجاج بن دينار،قال: ثقة، عمن؟ قال: عن شهاب بن خراش، قال: ثقة ، عمن؟ قال عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال : يا أبا اسحاق ان بين شهاب ابن خراش وبين النبي صلى الله عليه وسلم مفازة تنقطع دونها أعناق المطي ولكن ليس في الصدقة اختلاف) مع روايته عن ثقتين ولكن لعدم اتصال السند للنبي صلى الله

عليه وسلم رده ابن المبارك ولم يقبله لأن الاسناد من الدين لابد ان يتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم.

- وقد افنى أهل العلم أعمارهم للبحث عن السند وصحته وأول من من نقب عن الاسناد ونظر في صحته شعبة بن الحجاج وأول من ذكر الاسناد الامام ابن سيرين.

* مهما تكلمنا عن الاسناد لن نوفيه حقه لأن القرآن أصلا وصلنا بالاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم.

- قسم أهل العلم رجال الاسناد الى ثلاثة أصناف ذكرها الامام مسلم في مقدمة صحيحه:

الأول: الذين لا يقع في روايتهم كثير اختلاف وصفهم بالحفظ والاتقان ولا يقع منهم الخلط ولا السهو أمثال: منصور ابن المعتمر، الزهري، مالك بن انس، الثوري ، شعبة بن الحجاج، احمد بن حنبل، الشافعي، ابن راهويه . لو تفرد أحدهم بالرواية يقبل حديثهم لأنهم يستحيل عليهم الكذب.

الثاني: مستور الحال: صادق في نفسه الا انه يحتمل من ما لا يحتمل من غيره قد يختلط عليه أو ينسى بعض الحديث أو يدخل الحديث في بعضه البعض وهذا يعرض حديثه على الثقات، ويقبل حديثهم فلا يتهمون بالكذب.

الثالث : من لا يقبل حديثهم اطلاقا لوهن في نفوسهم فيضعفون في الحديث لأنهم يدخلون فيه ماليس منه مثل: يحي ابن أنس، محمد الرازي.

*لم يستعمل أهل الحديث نقد المتن الا ماكان مخالفا لكلام الله أومخالفا لحديث صحيح ولم يستطع أهل العلم الجمع بينهما.أما اذا كان من باب الغيب أو الاعجاز لا يستطيع أحد رده لأنه لم يفهمه .

- كذلك لم يستعملوا في المتن ما استعملوه في السند وذلك لأنه قد لا يستطيع الجمع بين الآية والحديث التي ظاهرها المخالفة فيتركه لإمام غيره لعل الله يفتح عليه.

المتن: هو كل قول مسند سواء قول النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره ، ويطلق عليه الحديث والخبر والأثر.